

تاريخ الإرسال: 2022/02/04 تاريخ القبول: 2022/08/25

تاريخ النشر: 2023/02/16

**الإقناع في كتاب البيان والتبيين للجاحظ**  
**the persuasive in eldjahadh,s book entitled the**  
**eloquence and the clarification**

رابح محوي

جامعة العربي بن مهدي أم البواقي (الجزائر)، [NOURSALAMN@GMAIL.COM](mailto:NOURSALAMN@GMAIL.COM)**المخلص:**

تهدف هذه المقالة إلى تبيان وظيفة الإقناع في بلاغة الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين، حيث يرى أن البلاغة تعنى بقضية إفهام السامع وإقناعه، فالإفهام بهذا المعنى ينطوي على استحضار الآخر من جهة واعتبار الوظيفة التواصلية من جهة أخرى، ويعتبر ذلك وسيلة ضامنة للمحافظة على اللغة وصحتها حتى لا تفقد مجاعتها باللحن، كما يكشف المقال عن الأغراض الإقناعية التي يحققها القول حسب الجاحظ في استمالة القلوب وميل الأعناق والتصديق وفهم العقول وإسراع النفوس والاستمالة والاضطرار والتحريك وحل الحبوة، ويركز على دعوة الجاحظ إلى مراعاة المقام كشرط لازم في كل تواصل بياني يروم المنفعة والصواب، وذلك بمراعاة الحال وما يجب لكل مقام من المقال، وبخلص المقال في النهاية إلى أن الجاحظ استطاع أن ينقل البلاغة من مستوى الإمتاع إلى مستوى الإقناع متأثراً في ذلك بأرسطو مؤسس بلاغة الجدل والمناظرة والحجاج.

**الكلمات المفتاحية:** (الإقناع، الإفهام، المقام، الجاحظ.البيان والتبيين)

**Abstract:**

The article aims at clarifying the persuasion task in eldjahadh.s rhetoric via his book the eloquence and the

clarification) it seems to him that the rhetoric is meant with the issue of convincing the listener and instills in his mind so the instillation in this sense includes the evocation of the listener this on one side and the consideration of the communicative task on the other side that is considered as assured means to preserve the language and its accuracy in order not lose its effectiveness with the faults. The article also unveils the persuasive intentions that the enunciation does achieve according to our literary man ; eldjahadh , in alluring the hearts, leaning the necks, approving understanding minds, harting inspiration, motivating, and in solving gratification. This article concentrates on eldjahadh ;s call to position, consideration as an indispensable condition in each eloquent communication evoking interest and righteousness considering in that the present situation and what is needed as talk for each situation or position . at the end the article recapitulate that eldjahadh could shift the rhetoric from the pleasure level to the convincing level influenced in that by aristotle of the founder of the rhetoric for the discussion, the controversy and the argument.

**Keywords:** (persuasion ; instillation; position; eldjahidh. book entitled( the eloquence and the clarification))

المؤلف المرسل: رابح محوي، الإيميل: [NOURSALAMN@GMAIL.COM](mailto:NOURSALAMN@GMAIL.COM)

### 1. مقدمة:

لقد عرفت البلاغة العربية تيارين واسعين، تيار بلاغة الصورة والمحسنات، وتيار بلاغة الخطابة، الأخير اقترن باسم الجاحظ الذي يعد هو مؤسسه والمنظر له، وقد اهتم الجاحظ ببلاغة الإقناع لاعتناقه نحلة الاعتزال التي تعتبر اللغة والبلاغة سلاحين أساسيين في مجادلة ومناظرة الخصوم، وازداد اهتمام الجاحظ ببلاغة الخطابة بعدما اطلع على كتاب أرسطو المترجم آنذاك (فن الخطابة) فوجد ضالته فيه، فما مظاهر تأثيره بأرسطو؟ وما إسهاماته النظرية في مجال الإقناع ؟

تتضمن مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة إن وجدت، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

#### أ- الجاحظ ومدونته البيان والتبيين:

هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ<sup>(1)</sup> ولد بالبصرة سنة 160هـ<sup>(2)</sup> وكان يأنف من لقب الجاحظ ويعتز باسم عمرو، فألف لذلك رسالة فيمن يسمى من الشعراء عمرا<sup>(3)</sup>. تقع حياة الجاحظ في عهدين متميزين: عهد بصري وعهد بغدادي، في العهد الأول: استقبل الحياة وأسبابها وفي العهد الثاني تألق في العالمين: الأدبي والعلمي وكان الأول عهد تحصيل ومراقبة أما الثاني فكان عهد إنتاج وشهرة<sup>(4)</sup>.

أخذ العلم عن أساطين اللغة وعظمائها، ومن هؤلاء: الأصمعي أبو زيد الأنصاري وأبو عبيدة معمر بن المثنى فأخذ عنهم اللغة والأدب كما أخذ النحو عن الأخفش والكلام عن النظام والحكمة عن أبي جناح وكان هؤلاء أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب لم يعرف قبلهم ولا بعدهم مثلهم عنهم أخذ جل ما في أيدي الناس من هذه العلوم<sup>(5)</sup>. عاصر عشرة خلفاء عباسيين وكانت وفاته سنة 225هـ بإجماع المؤرخين<sup>(6)</sup> ورث أبو عثمان أمته وأمم العالم مؤلفات عديدة ذكر ياقوت الحموي في معجمه مئة وثمانية وعشرون مصنفا<sup>(7)</sup> منها كتاب البيان والتبيين وهو كتاب في البلاغة والإعجاز.

ب- مضمون كتاب البيان والتبيين: هو بصفة عامة كتاب أدب، يتضمن مختارات من ذاكرة الجاحظ العجيبة بل هو معرض أدب وبلاغة وآيات قرآنية مجيدة وأحاديث نبوية شريفة وصفوة أشعار وحكم، وخطب للخلفاء البلغاء والمشاهير مزجها الجاحظ بأرائه الخاصة في البيان والفصاحة والبلاغة والشعر وأنواع الكلام والخطب والمواعظ وساق أمثالا على الإقناع بالحجة وأفرد لها مسائل متنوعة أستطرد إلى نوادر فكهة لبيعد السامة والضجر عن القارئ<sup>(8)</sup>.

#### 2. ضبط المفاهيم والمصطلحات:

أ- مصطلح الإقناع ( persuasion ):

يرى ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أنَّ الثلاثي (قنع) له أصلان صحيحان وثالث شاذ على النحو الآتي:

1\_ الإقبال على الشيء وهو الإقناع.

2\_ يدل على استدارة في شيء، وهو القنع والقناع.

3\_ ويرى أنه شذَّ عن الأصل؛ الإقناع بمعنى ارتفاع الشيء، ليس فيه تصوب.<sup>(9)</sup>

أو كما في لسان العرب: رفع الرأس في اعوجاج.<sup>(10)</sup>

وقريب منه رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع<sup>(11)</sup>

ولا شك أنَّ المعنى الألسق بفكرة هذا البحث هو ما يدور في فلك المعنى الأول.

وهذا الأصل في المعنى له عدد من الاستعمالات اللغوية منها:

1\_ الإقناع: مدَّ البعير رأسه إلى الماء ليشرب<sup>(12)</sup>

2\_ الإقناع: الإقبال بالوجه على الشيء، يقال: أقنع له يقنع إقناعا.

3\_ القانع: السائل وسمي قانعا لإقباله على من يسأله، والقناعة: الرضا بالقسم.

كما نجد في المعجم الوسيط تحديداً أكثر لمعنى الاقتناع، بأنه القبول بالفكرة أو الرأي

والاطمئنان إليه، وهذا أدق من مجرد الرضا: اقتنع: قنع بالفكرة أو بالرأي قبله

واطمان إليه<sup>(13)</sup>

يقصد بالإقناع أن يصبح السامع لك وقد اقتنع بفكرتك، لا باعتبارها فكرتك أنت،

ولكن أصبحت فكرته الخاصة به والتي انبثقت من داخل نفسه وكان لك فضل إثارتها

وتحريكها والكشف عنها.

وأما في الاصطلاح فنجد أنه:

\_ عمليات فكرية وشكلية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر، وإخضاعه

لفكرة ما<sup>(14)</sup>

\_ أي اتصال مكتوب أو شفوي أو سمعي أو بصري يهدف بشكل محدد إلى التأثير

على الاتجاهات والاعتقادات أو السلوك، كما أنه القوة التي تستخدم لتجعل شخصا

يقوم بعمل ما عن طريق النصح والحجة والمنطق<sup>(15)</sup>

كما أن طه عبد الرحمن قد وظف مصطلح الإقناعية في شروط التبادل اللغوي وعرفها بقوله: عندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جراً إلى الاقتناع برأي المحاور<sup>(16)</sup>.

ويرى أدونيل ويكيبل (adonil wekeble) بأنه: عملية تفاعلية معقدة يرتبط فيها المرسل والمتلقي برموز لفظية وغير لفظية ومن خلال هذه الرموز يسعى المقنع أن يؤثر ليغير استجاباته<sup>(17)</sup>.

وعلى هذا الأساس فإن الاتصال الإقناعي يستلزم إضافة عنصرين جديدين إلى نموذج الاتصال الجماهيري وهما العنصر التأثيري والإقناعي الذي لا يكتفي بمجرد استقبال الرسالة وإنما يستهدف إحداث الإقناع لدى الجمهور المستهدف<sup>(18)</sup> يظهر من التعريفات السابقة أن الإقناع عبارة عن إجادة مهارات الاتصال والتمكن من فنون الحوار وأدبه، وتتداخل بعض الكلمات في المعنى مع الإقناع مع وجود فوارق قد تكون دقيقة لدرجة خفائها عن البعض، ومن أمثال هذه الكلمات: الخداع، الإغراء، النفاوض، فبعضها تهيج الغرائز وبعضها تزييف للحقائق وبعضها مجرد حل وسط واتفاق دون اقتناع.

### ب\_ مصطلح الإفهام:

\_ فهم يفهمُ فهماً، فهو فاهمٌ وفهمٌ وفهيم: الأمر أو الكلام أو نحو ذلك: أدركه، علمه، أحسن تصوّره.

\_ فهمٌ يفهمُ تفهيماً: الأمر: مكنه أن يفهمه.

\_ أفهم يفهمُ إفهاماً: فهمه.

\_ تفهم يتفهمُ تفهّمًا: الأمر فهمه شيئاً بعد شيء. (19)

مادة: فهم: \_ في اللغة:

« فهمُ الأمر أو الكلام أو نحو ذلك: أدركه، علمه، أحسن تصوّره (فهم

كل ما قيل له ) » (20).

\_ في القرآن:

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : [ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ]<sup>(21)</sup>.

### في الاصطلاح:

يقول عبد القادر الجزائري: « أهل طريقنا رضي الله عنهم ما ادعوا الإتيان بشيء في الدين جديد، وإنما ادعوا الفهم الجديد في الدين التليد، وساعدهم الخبر المروي أنه لا يكمل فقه الرجل حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة »<sup>(22)</sup>  
الفرق بين الفهم والإفهام:

يقول فخر الدين الرازي: « الفهم : هو تصور الشيء من لفظ المخاطب .  
والإفهام : هو اتصال المعنى باللفظ إلى فهم السامع »<sup>(23)</sup> .

يقول أبو العلا عفيفي : « يطلق على المعنى الباطن كلمة الفهم ، في مقابل العلم . إذ العلم هو الإحاطة بالمعلوم والفهم هو إدراك حقيقته وكنهه وهو وهب إلهي وإعلام رباني ، بخلاف العلم الذي هو كسب للعبد »<sup>(24)</sup>  
في الفرق بين الوهم والفهم

يقول إبراهيم الخواص : « الوهم هو قيام بين العقل والفهم ، لا منسوباً إلى العقل فيكون شيئاً من صفاته ، ولا منسوباً إلى الفهم فيكون شيئاً من صفاته ، وهو شبيه بضوء بين شمس وماء ، فلا ينسب إلى الشمس ولا ينسب إلى الماء ، وشبيه بوسن بين النوم واليقظة فلا نائم ولا يقظان فهذه صحوه وهو نفاذ العقل إلى الفهم أو الفهم إلى العقل حتى لا يكون بينهما قيام .

والفهم صفة العقل كما أن خالص الشيء له »<sup>(25)</sup> .

يقول علي بن أبي طالب: « من فهم فسر جمل العلم »<sup>(26)</sup> .

ويقول الحسن البصري: « الفهم وعاء العلم، والعلم دليل العمل، والعمل قائد الخير »<sup>(27)</sup> .

### ج\_ مصطلح المقام:

المَقَام: موضع القدمين والمُقَامَة بالضم: الإقامة والمُقَامَة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس، وأما المَقَام بفتح الميم والمُقَام بضم الميم، فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يُقيم فمضموم، فإنَّ الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم، لأنه مُشبه ببنات الأربعة نحو: دحرج وهذا مدحرجنا وقوله تعالى: [ لا مقام لكم ] أي لا موضع لكم، وقرئ لا مُقام لكم بالضم أي لا إقامة لكم، وقوله تعالى: [ وحسنت مستقرا ومقاما ] أي موضعاً، وقول لبيد:

عفت الديار محلها فمقامها      بنى تأبد غولها فرجامها .

مقامها أي الإقامة، وقامت المرأة تنوح أي جعلت تنوح، وقد يعني به ضد القعود، لأن أكثر نوائح العرب قيام؛ قال لبيد:

قوما تجويان مع الأنواح<sup>(28)</sup>

-المقام اصطلاحاً: إنه يتمثل في مجموع العناصر غير اللغوية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنص الكلامي بهدف بلوغ المعنى المراد يقول تمام حسان في ذلك: « هذا هو المقصود بفكرة المقام، فهو يضم المتكلم والسامع أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر والفولكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعات». <sup>(29)</sup>

فالجاحظ يعتبر من أولئك الأوائل الذين تفتنوا للدور الذي تلعبه الملابس والظروف الخارجية التي تحف بظاهرة الكلام كالمتكلم والسامع وظروف المقال<sup>(30)</sup>، فقد تحدث المفسرون قديماً عن أهمية العلم بأسباب النزول في القرآن الكريم وأفردوا له باباً بالتأليف للكشف عن الغموض الذي يكتنف بعض آي القرآن، فقد قال ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن»<sup>(31)</sup>، وقال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»<sup>(32)</sup>، وقال الواحدي: «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها»<sup>(33)</sup>.

لذلك ركز علماء اللغة على ما هو منطوق، فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم وما أرادته من دلالة والسامع وما فهمه من الرسالة وكذا الأحوال المحيطة بالحدث الكلامي، فالجاحظ كان له اهتمام كبير بهذه الحثيات التي تصنع خطاباً ذا معنى فتقطن لها ودعا إليها يقول في ذلك: « فكن في ثلاث منازل فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقة عذبا، وفخما سهلا ويكون معنك ظاهرا مكشوفاً، وقريبا معروفاً، إمّا عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإمّا عند العامة إن كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة. وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال... فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفوا عن الأكفاء، فأنت البليغ التام»<sup>(34)</sup>.

اشتراط الجاحظ للكلام المنطوق شروطاً منها أن يتوخى الصواب والمنفعة، ويتفق مع الظروف الخارجية التي أوجدت هذا الخطاب دون غيره كما أنه دعا إلى من تحلى بصفة الاقتدار على توصيل معاني الخاصة إلى العامة فله ذلك، شريطة أن يكسو تلك المعاني ألفاظاً واسطة بعيدة عن كل غموض فذلك من تمام بلاغة المتكلم.

#### د- الإفهام:

يقول الجاحظ في مجرى حديثه عن البيان: « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»<sup>(35)</sup> يعلق الجابري على قضية الإفهام بقوله: « إفهام السامع، وإقناعه»<sup>(36)</sup>

يتبين من هذا النص أن الجاحظ يولي للفهم والإفهام أهمية كبرى في الخطاب، وهي الغاية التي يسعى إليها القائل لإبلاغها قلب السامع، ومن ثم فإن

للبيان باعتباره جزءاً من البلاغة دور أساسي في الإبانة والإفهام، وإن اهتمامه بهذه المسألة محكوم بالظرفية الزمنية؛ إذ كثرت التساؤلات حول الخطاب الديني، وطلب فهمه أمر ضروري، بالإضافة إلى توافد أقوام أخرى على الثقافة العربية طالبة لفهم مسائل كثيرة، واعتبار آخر هو كثرة الطاعنين في اللغة وغيرها من الأمور التي لا يسع المقام إلى ذكرها هاهنا. يقول الدكتور محمد العمري: ( نقدم مجموعة من النصوص أغلبها من الصفحات الأولى للكتاب ونتمنى أن يتأمل القارئ ألفاظها قبل قراءة تعليقنا عليها، عساه يجد فيها ما يبرز هذا الجانب الذي لم نجد عناية من الدارسين، هذا البعد الذي يقف بين المنطق والشعر وهو فن الإقناع أو بلاغة الخطاب الإقناعي:

1\_ وسأل الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته، والإبانة عن الحجة والإفصاح عن أدلته<sup>(37)</sup>.

2\_ وليس حفظك الله مضرّة سلطنة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة، بأعظم مما يحدث عن العي من إخلال الحجة، وعن الحصر من فوت درك الحاجة<sup>(38)</sup>.

3\_ وقال موسى عليه السلام: ( وأخي هارون هو أفصح مني لساناً، فأرسله معي رداً بصدقني)، وقال: (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) ورغبة منه (موسى) في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم، والنفوس إليه أسرع، وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة، ويبلغ أفهامهم على بعد المشقة<sup>(39)</sup>.

4\_ وذكر الله عز وجل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة النطق، ورجاحة الأحلام، وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكران والمكر ومن بلاغة الأسنة واللدد عن الخصومة<sup>(40)</sup>.

5\_ ثم ذكر خلاصة ألسنتهم واستمالتهم الأسماع بحسن منطقتهم<sup>(41)</sup>.

6\_ كان أبو الشمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه، وكان يقول ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره، حتى كلمة إبراهيم النظام، عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة والزيادة في المسألة حتى حرك يديه وحل حبوته<sup>(42)</sup>.

7\_ ومدح الله القرآن بالبيان والإفصاح وبحسن التقصيل والإيضاح وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ وسماه فرقانا كما سماه قرآنا<sup>(43)</sup>.

8\_ ولما علم واصل بن عطاء أنه أثنع فاحش اللثغ وأن مخرج ذلك منه شنيع، وأنه إذا كان داعية مقالة ورئيس نحلة وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل وأنه لا بد من مقارعة الأبطال ومن الخطب الطوال وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثني به الأعناق، وتزيد به المعاني وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة كنحو ما أعطى الله موسى عليه السلام من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة... ورام أبو حذيفة إسقاط الراء<sup>(44)</sup>.

9\_ وقال بعض جهايزة الألفاظ ونقاد المعاني القائمة في صدور الناس المقصورة في أذهانهم مستورة خفية لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة فيه وخليفة وإنما يحبي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا وهي التي تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشي مألّوفا والعقل موسوما والموسوم معلوما<sup>(45)</sup>.

هذه المؤهلات رصدها الجاحظ والآثار التي توخاها تحسم في أمر الغرض من بعض الوسائل التي تبدو محايدة مثل الفهم والبيان والوضوح والصحة إنها كلها وسائل موجهة للإقناع استمالةً أو اضطراراً (بمعنى الإكراه إلى حد ما)<sup>(46)</sup>.

#### هـ\_ الإقناع:

إن مظاهر الإقناع في بلاغة الجاحظ ظاهرة في اهتمامه بالخطبة والخطابة، وكتاب البيان والتبيين "جامع كلي لأسسها، ومبادئها، وآلياتها؛ إذ جعلها مطابقة لمدلول البلاغة، باعتباره يسعى إلى التأكيد على سلطان الكلام، وربطه بالقول المقنع، لا

بالتوشية والأسلوب التميمي الجمالي فقط؛ إذ «لا ينجز مهام الاحتجاج والمناظرة إلا قول مقنع»<sup>(47)</sup>.

وعليه فقد ظهر الإقناع عند الجاحظ، مرتبطاً بالخطبة، وقال بدوي طبانة في هذا السياق: « ولم يطنب الجاحظ في فن ملحوظ عرف العرب إجادته والإبداع فيه، وهو فن الشعر، كما أطنب في ذكر الخطابة»<sup>(48)</sup>.

ومن مظاهر الإقناع ذكره للمشاكل التي تعيق الخطيب وتحول بينه وبين الإقناع، منها الحبسة والتشديد والتأناة وغيرها من عيوب الفصاحة.

**و\_ وضعية الخطيب ومنزلته:** قبل بيان الهيئة التي ينبغي أن يكون عليها الخطيب العربي يقتضي الحديث عن منزلة الخطيب في قبيلته التي تعلقه تلك القبيلة على الدور الذي يضطلع به الخطيب إذ هو لا يختلف عن دور الشاعر فكلاهما ينافح عن قبيلته معددا بمفاخرها متصارعا عن خصومها ذاذا بلسانه حياضها، لكن منزلة الخطيب أرفع من منزلة الشاعر إذ اكتسب مكانته المرموقة من خلال سمات لا تتوافر في الشعراء<sup>(49)</sup> ولكي تكون الخطبة ناجحة مقنعة ماثرة يجب أن يكون فيها عنصر فعال وهو الخطيب الذي يقوم بدوره بإلقاء الخطبة وجلب انتباه الجمهور كما يعتبر أنه الأساس الذي تقوم عليه الخطابة ويجب أن يشترط في الخطيب أنه يتحلى بالصفات الآتية:

\_ أن تكون له مقدرة على معرفة نفسية المتلقين من السامعين حتى يستطيع أن يصل إلى مواضع التأثير في نفوسهم واللعب بمشاعرهم والاهتداء إلى سبل استمالتهم وإقناعهم "وقد قالت العرب: لكل مقام مقال" كما يشترط عليه أن يتمتع بقوة العاطفة وصدقها، وحتى يستطيع التأثير على مستمعيه بعقد صلة وجدانية بينه وبينهم<sup>(50)</sup>

\_ ولابد أن يتوفر فيه الاستعداد الفطري فيكون الخطيب ذا مواهب خاصة تجعله قادرا على نقل أفكاره إلى سامعيه بطريقة مؤثرة ومقنعة، وكذلك سرعة البديهة والقدرة على معرفة نفسية الجمهور الذي يخاطبه جهازة الصوت وحلاوته والخلو من العيوب الخلقية وجمال المظهر وسمو الخلق<sup>(51)</sup>

\_ ومن أكمل صفاته أن يكون شاعرا كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا وقد ذكر صاحب الصناعتين ما يلزم في تأليف الرسائل والخطب فقال: أن تجعلها مزدوجة فقط ، ولا يلزمك فيها السجع فإن جعلها مسجوعة كانت أحسن، مالم يكن في سجعك استكراه وتنافر كما يحسن فيه أن يكون قادرا على الارتجال وله طبع في الخطابة وقدرة على الخوض في لججها (52)

ومن خلال هذا نرى أن للخطيب مكانة مهمة إذ بفضلته تتجح أو تفشل الخطبة.

\_ **عيوب الخطيب:** ومن نقص الخطيب أن يكون بمنطقه عيب يعوق سهولة المخارج وسلامة الحروف واستوائها كاللجلجة(53)، والفأفة(54)، والتمتمة(55)، واللثغة(56)، اللف(57)، والحبسة(58)، والخلكة(59)

وتلك عيوب تبدو منذ الطفولة راجعة إلى وراثة أو مرض أو سوء محاكاة أو تجعل في النطق خجل ... ولكن من المستطاع علاجها، ولابد للخطيب أن يكون لسانه فصيحاً درب اللسان بلبل الريق، قد يراعي التعبير، لأن منطقته هو ثروته وعدته، وهو بمنطقته يقنع، وبمنطقته يستميل، وما هز المنابر في القديم والحديث ولا تزعم الأمم وقادة الجماهير إلا اللسن الفصحاء(60)

### \_ أعراض الإقناع:

يربط الإقناع البلاغة ( بأهداف إقناعية، محددًا للكلام أدوارًا في الخصومة، ومنازعة الرجال، ومناقلة الأكفاء، ومناضلة الخصوم، وفي الاحتجاج على أرباب النحل ومقارعة الأبطال» (61)

بقول محمد العمري أن الجاحظ، (يكشف بكل وضوح وضعه نظريةً لبلاغة الإقناع مركزها الخطاب اللغوي الشفوي)(62)، والذي يقصد به الخطبة التي يكون سيدها الخطيب الجامع بين قوة الألفاظ وحسنها، وجدة المعاني وإفهامها، وخصال البلاغة ومقوماتها الإقناعية والجمالية .

كما حدد أعراضا ولإقناع عند الجاحظ في(63):

\_ استمالة القلوب.

\_ ميل الأعناق

\_ التصديق .

\_ فهم العقول .

\_ إسراع النفوس .

\_ الاستمالة، الاضطراب أو التحريك، وحل الحبوة .

تهدف هذه الأغراض إلى تحقيق وظيفة إقناعية، باعتبارها ميزة أساسية في البلاغة، وقد (جمع خصال البلاغة واستوفى خلال المعرفة، فإذا كان الكلام على هذه الصفة وألف على هذه الشريطة لم يكن اللفظ أسرع إلى السمع من المعنى إلى القلب، وصار السامع كالقائل والمتعلم كالمعلم، وخفت المؤونة واستغني عن الفكرة وماتت الشبهة وظهرت الحجة، واستبدلوا بالخلاف وفاقا وبالمجازبة موادعة، وتهنؤوا بالعلم وتشفوا ببرد اليقين واطمأنوا بتلج الصدور، وبان المنصف من المعاند وتميز الناقص من الوافر وذل المخطئ وعز المحصل وبدت عورة المبطل وظهرت براءة المحق»<sup>(64)</sup>

واستنتقنا لهذا النص نسفر عن عدة وظائف لمن جمع بين تلكم الأغراض التي أشار إليها العمري، أو بالأحرى المطابقة بين البلاغة والخطاب الشفوي بمقوماته المؤسسة له، الساعية إلى منفعة أسها الإقناع، ونذكر هذه الوظائف فيما يأتي:

1\_ تثبيت الحجة وإظهارها.

2\_ الموادعة والموافقة بدل الخلاف والمجازبة.

3\_ الوصول إلى اليقين.

4\_ تمييز المنصف من المعاند.

5\_ تمييز الناقص من الوافر.

6\_ تمييز الحق من الباطل.

7\_ تحقيق الفهم والإفهام.

ز\_ المقام:

\_ أثر المقام: لما كان المقام ذا أهمية جلية في الخطاب لدى الجاحظ، فذلك راجع لأثره البارز في تبليغ المعنى؛ وتحقيق المنفعة، الجلية في إقناع وإفهام المتكلم، وهذا

ما يجعلنا نؤكد على قضية إلزامية وهي التكامل بين المقومات المكونة للخطاب الشفوي بمعنى الخطبة، ومراعاة المقام وأحوال الناس حتى يتسنى للمتكلم بلوغ الغاية التي ينشد إليها، وهذا واضح لكون أن المتكلم إن أراد تبليغ مراده والإبانة عن حجته، ومقارعة خصومه، ومناضلة منازعيه، وإفحام معارضييه، وإفهام متلقيه، وتحقيق الغاية الأسمى، التي هي الإقناع، لا بد من السير على قدر أفهام المخاطبين، والتمثل لمقامهم، والوعي بأحوالهم، من أجل موازنة الألفاظ، وإبلاغ المعاني، وترسيخها في قلوبهم، وميل أعناقهم. وفي كلامنا هاهنا نصوص تؤكد الدور الذي يلعبه المقام في الإفهام والإقناع، التي أخذناها من "البيان والتبيين"، ونوردها مع بيان حملتها الدلالية أول النصوص في هذا هو النص الذي نقله الجاحظ من صحيفة بشر بن المعتمر، وهو قوله: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتنزع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال. وكذلك اللفظ العامي والخاصي، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلتطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام." (65)

لما قدم صاحب الصحيفة المعنى في هذا النص، فقدمه لأهميته، وبأنه الهدف الأسمى الذي يرموا إليه المتكلم من كل خطاب، ولكن تبليغه، وبلوغ الشرف فيه، ليس يتم بوضع الكلام على معاني العامة أو الخاصة، وإنما مداره يتحصل في إحراز المنفعة، والوصول إلى الصواب، وهو جلي في الإقناع والإفهام، والشاهد عندنا أنه لما ذكر مدار القول في إحراز المنفعة والصواب، ربطه بموافقة ذلكم القول للحال، وأن يكون مراعيًا للمقام.

وهذا دليل نطوعه لإبراز أهمية وأثر مراعاة المقال لمقتضى أحوال الناس، ومقامتهم، في إبلاغهم المعنى وإفهامهم إياه، وإقناعهم به في بلاغة الجاحظ، واستشهاده كان استحسانا له من جهة، وموافقة لدلالاته من جهة أخرى.

ولم يكتف بن المعتمر بهذا فقط، بل استدرك على ما ذكرناه، ليبين أن البليغ التام، أو من تتحقق فيه درجة الكمال في البلاغة، هو من يستطيع ببراعة لسانه، وبلاغة قلمه، أن يفهم العامة معاني الخاصة، والخاصة معاني العامة.

النص الثاني الذي بين أثر مراعاة المقام في الإقناع والإفهام، هو نص نقله الجاحظ عن ابن المقفع، وذلك بقوله: « إذا أعطيت كلّ مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيهما شيء. »<sup>(66)</sup>

بمعنى مخاطبتك الناس بإعطاء المقام حقه، وحصلت ما ينبغي تحصيله في ذلك المقام، فقد بلغت مبلغا شريفا هو إرضائك الناس وإفهامهم، وإقناعهم، ووصولك هذا كان بمراعاتك للمقام، وعليه فيبقى المقام ذا أهمية في إحراز المنفعة في كل خطاب. ويعد المقام عنصرا أساسيا في البلاغة عند الجاحظ، لما أشار إلى أن «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوق، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة (...)، ومدار الأمر على أفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلاته، وتتصرف معه أدواته، ويكون في التهمة لنفسه معتدلا»<sup>(67)</sup>

إن الظاهر في هذا النص أن الجاحظ يعرف البلاغة، بأنها اجتماع مقوماتها الأساسية، آلياتها ومبادئها المركزية في المتكلم المخاطب، وقد جعل مراعاة المقام، ومخاطبة الناس على قدر طاقتهم، مقوما من هذه المقومات التي تؤدي الوظيفة الإقناعية، والإفهامية، مما يجعلنا نقر بأن هذا الرجل يسعى في مشروعه البلاغي إلى تأسيس نظرية إقناعية في الخطاب الشفوي، قائمة بنفسها، لها أساسياتها ومقوماتها المؤسسة لها، ولو نظرنا مليا في بيانه لتجلت في ذهننا فكرة يسعى وراءها الجاحظ، وهي القول النفعي أسه الإقناع والإفهام، مع مراعاة مقتضيات الأحوال والمقامات التي تحيط بالخطاب عامة، والشفوي خاصة.

4. **خاتمة:** نخلص في الأخير إلى القول أن الجاحظ قد نحا بالبلاغة العربية منحىً جديداً، وقد تأثر في ذلك بالمعلم الأول أرسطو طاليس مؤسس البلاغة الإقناعية من خلال كتابه ( فن الخطابة)، حيث جعل المقام عنصراً أساسياً في مشروعه البلاغي، وذلك لما له من غايات إبلاغية، وإقناعية، وإفهامية، كما أسس لمشروعه البلاغي من خلال اعتماد أساسين هاميين في التواصل وهما: الإقناع والإفهام وهو مسعى لتحقيق مبتغى تواصلية تأثيرية تداولية، قوامه الحجة المقنعة. والألفاظ الحاملة والمعاني القائمة، وهدفه الإقناع والإفهام، ومراعاة المقال للمقام. وتقوم بلاغة الجاحظ على القواعد التالية:

1\_ عنصر الفهم والإفهام يؤديان إلى مسألة التثبيت، وهي من أعلى درجة الإقناع والبيان، مما يؤكد على ضرورة تحققه بين المخاطبين أثناء تحاججهم وتناظرهم، وتخطابهم في مسألة ما، أو أثناء مخاطبة الخطيب للجمهور، فأول ما يجب الوصول إليه هو إثباته للمعنى في قلب السامع، وتأكيد على أحقية قوله .

2\_ ومن مظاهر الإقناع عند الجاحظ ذكره للمشاكل التي تعيق الخطيب وتحول بينه وبين الإقناع، منها الحبسة والتشديق والتأتأة وغيرها من عيوب الفصاحة.

3\_ التأكيد على قضية إلزامية وهي التكامل بين المقومات المكونة للخطاب الشفوي بمعنى الخطبة، ومراعاة المقام وأحوال الناس حتى يتسنى للمتكلم بلوغ الغاية التي ينشد إليها، وهذا واضح لكون أن المتكلم إن أراد تبليغ مراده والإبانة عن حجته، ومقارعة خصومه، ومناضلة منازعيه، وإفحام معارضييه، وإفهام متلقيه، وتحقيق الغاية الأسمى، التي هي الإقناع، لا بد من السير على قدر أفهام المخاطبين، والتمثل لمقامهم، والوعي بأحوالهم، من أجل موازنة الألفاظ، وإبلاغ المعاني، وترسيخها في قلوبهم، وميل أعناقهم.

### الإحالات والهوامش

<sup>1</sup> \_ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج12، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 1959، ص7 و67.

<sup>2</sup> \_ جميل جبر: الجاحظ، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 1959، ص17.

- <sup>3</sup> \_ عبد المنعم خفاجي: أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1973، ص55.
- <sup>4</sup> \_ طه الحاجري: الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف، مصر، 1976، ص78.
- <sup>5</sup> \_ محمد كرد علي: أمراء البيان، ج2، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، مج1، ص317.
- <sup>6</sup> \_ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مج 12، ص220.
- <sup>7</sup> \_ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج12، دار المأمون، القاهرة، (د.ت)، ص106\_110.
- <sup>8</sup> \_ محمد علي زكي الصباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998، ص111.
- <sup>9</sup> \_ أبو الحسن بن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة (قنع)، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، ج5، ص864،865.
- <sup>10</sup> \_ لسان العرب، مادة(هطع)، ج8، ص372.
- <sup>11</sup> \_ المصدر نفسه، ج8، ص299.
- <sup>12</sup> \_ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين مادة قنع، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج1، ص170.
- <sup>13</sup> \_ إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (قنع)، دار الباز، مكة المكرمة، السعودية، ط2، 1393هـ، ج2، ص864.
- <sup>14</sup> \_ عبد الله بن محمد العوشن: كيف تقنع الآخرين، دار العاصمة بالرياض، السعودية، ط1، 1413هـ، ص26.
- <sup>15</sup> \_ إبراهيم أبو عرقوب: الاتصال الاجتماعي ودوره في التفاعل الاجتماعي، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص179.
- <sup>16</sup> \_ طه عبد الرحمن: أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2007، ص38.
- <sup>17</sup> \_ أدونيل وكيبيل: الدعاية والنظريات والتوجهات الحديثة، دار النشر والتوزيع والطباعة، 1413، الرياض، ص96.
- <sup>18</sup> \_ بوفاتح ياقوتة: الخطاب الإقناعي في الإتصال السياسي دراسة تحليلية لخطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة المصالحة الوطنية أنموذجا 2006، ص153

- <sup>19</sup> \_ المعجم العربي الأساسي: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تأليف: جماعة من كبار اللغويين العرب، توزيع لاروس، أيسكو 1989، ص 952 .
- <sup>20</sup> \_ المعجم العربي الأساسي، ص 953 .
- <sup>21</sup> \_ سورة الأنبياء، الآية 79 .
- <sup>22</sup> \_ عبد القادر الجزائري: **المواقف**، دار اليقظة العربية، بيروت، لبنان، 1966، ج 1 ص 26 .
- <sup>23</sup> \_ فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران، ايران، 2، (د.ت)، ج 1، ص 420 .
- <sup>24</sup> \_ إبراهيم مذكور: الكتاب التذكاري ( محي الدين بن عربي ) في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده، ص 10 .
- <sup>25</sup> \_ أبو نصر السراج الطوسي: **اللمع**، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مطبعة المثني، بغداد، ودار الكتب الحديثة، القاهرة، 1960. ص 226 - 227 .
- <sup>26</sup> \_ المصدر نفسه: ج 1 ص 49 .
- <sup>27</sup> \_ أبو الفرج بن الجوزي: التابعي الجليل الحسن البصري، مكتبة القاهرة، 1971. ص 43 .
- <sup>28</sup> \_ لسان العرب، مادة(قوم)، ج12، 498.
- <sup>29</sup> \_ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ط2004، ص352.
- <sup>30</sup> \_ الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ص93.
- <sup>31</sup> \_ جلال الدين السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص61\_62.
- <sup>32</sup> \_ المرجع نفسه، ص61\_62.
- <sup>33</sup> \_ المرجع نفسه، ص61\_62.
- <sup>34</sup> \_ الجاحظ: البيان والتبيين ، ج1، ص136.
- <sup>35</sup> \_ الجاحظ: البيان والتبيين، ص76.

- <sup>36</sup> \_ محمد عابد الجابري: نقد العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1993، ص25.
- <sup>37</sup> \_ المصدر نفسه، ج2، ص7.
- <sup>38</sup> \_ المصدر نفسه، ج2، ص12.
- <sup>39</sup> \_ المصدر نفسه، ج1، ص7.
- <sup>40</sup> \_ المصدر نفسه، ج1، ص8.
- <sup>41</sup> \_ المصدر نفسه، ج1، ص9.
- <sup>42</sup> \_ المصدر نفسه، ج1، ص91.
- <sup>43</sup> \_ المصدر نفسه، ج1، ص8.
- <sup>44</sup> \_ المصدر نفسه، ج1، ص14\_15.
- <sup>45</sup> \_ المصدر نفسه، ج1، ص75.
- <sup>46</sup> \_ محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار افريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص199.
- <sup>47</sup> \_ الجاحظ : لبيان والتبيين، ج1، ص212.
- <sup>48</sup> \_ عادل عبد اللطيف: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص65.
- <sup>49</sup> (سامي يوسف أبوزيد، تذوق النص الأدبي، دار المسيرة، عمان، 2012، ص 178
- <sup>50</sup> (مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني واجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري، الاردن، عمان، ط 2009، ص100
- <sup>51</sup> (سامي يوسف ابو زيد، تذوق النص الأدبي، ص 178
- <sup>52</sup> (عزت محمود فارس، أدب الفقهاء حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار يافا العلمية، ط1، عمان، 2006، ص 299
- <sup>53</sup> (اللججة: التردد في الكلام
- <sup>54</sup> (الفأفة: ترديد الفاء وإكثارها
- <sup>55</sup> (التمتمة: رد الكلام إلى الفاء والميم
- <sup>56</sup> (اللغة: واللغ، تحول اللسان من السين إلى الثاء أو من حرف إلى حرف
- <sup>57</sup> (اللف: البطيء في الكلام ، وأن يملأ لسان المتكلم فمه فلا يبين
- <sup>58</sup> (الحبسة: تعذر الكلام عند ارادته

<sup>59</sup> الخلكة: العجمة في الكلام

- <sup>60</sup> أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة للطباعة والنشر، مصر، 2002، ص 5
- <sup>61</sup> بدوي طبانة: البيان العربي: دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، ط3، ص62.
- <sup>62</sup> محمد العمري: المقام الشعري والمقام الخطابي، ص11.
- <sup>63</sup> محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص198.
- <sup>64</sup> الجاحظ: الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط3، ج1، 1423هـ، ص440.
- <sup>65</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص129.
- <sup>66</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص114.
- <sup>67</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص114.